الفصل الرابع:
كيف تصنع مجتمعاً

- **المبحث الأول: اصنع امرأة تصنع مجتمعاً**
- **المبحث الثاني: كيف تصنع امرأة**

المبحث الأول:

اصنع امرأة تصنع مجتمعاً

إن للمرأة دورها الهام والخطير في بناء المجتمع المسلم، فهي حاضنة الأجيال، ومنشئة الأبطال، وعلى قدر صلاح المرأة تصلح المجتمعات، ولقد أدرك المفسدون أعداء الإسلام خطورة دور المرأة فأجلبوا عليها بخيلهم ورجلهم ليخرجوها من خدرها، وليهتكوا عنها سترها، مستهدفين بذلك إفساد دين الأمة، وتقويض دعائم المجتمع المسلم.

فالمرأة تلعب دورا حيوياً وفعالاً في بناء المجتمعات، فهي اللبنة الأساسية فيه، وهي كالبذرة التي تنتج ثماراً تصلح بصلاحها وتفسد بفسادها.

فالمرأة نصف المجتمع بل هي المجتمع كله فهي تلد النصف الآخر، وهي نصف الدين لمن ظفر بها والحديث رواه البيهقي عن أنس أن النبي ﷺ قال: "من تزوج فقد استكمل نصف الإيمان، فليتق الله في النصف الباقي"[٢٣].

فالمرأة أثمن جوهرة نزعت من تاج الطبيعة لتكون زينة للرجل وسعادة له، فما من رجل عظيم في الحياة وإلا وخلفه امرأة عظيمة، فعظمة الرجل من عظمة المراة وعظمة المرأة من نفسها فالمرأة كوكب يستضئ به الرجل بدونها يبيت في ظلام.

---

(٢٣) رواه البيهقي وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٩١٦) وهو في الصحيحة (٦٢٥).

فهي الأم والزوجة والإبنة والأخت وعليها يقوم صلاح المجتمع أو فساده، فالمرأة تقوم بالدور الأكبر في المشاركة السياسية بمعناها الواسع، فتربية الأبناء ليست مهمة هينة، فهي تعد جيلاً قوياً سليماً وهذه في حد ذاتها مشاركة سياسية لأنها تصب في مصلحة المجتمع.

فلما أرسل شيخ الإسلام بن تيمية رسالة لأمه يعتذر لها فيها عن بعده عنها لأيام وإقامته في مصر لبعض شئون الدين والدعوة.

فلما وصلتها رسالته ردت عليه بمثلها وقالت: ولدي الحبيب الرضي أحمد بن تيمية وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه، فإنه والله لمثل هذا ربيتك، ولخدمة الإسلام والمسلمين نذرتك، وعلى شرائع الدين علمتك، ولا تظنن يا ولدي أن قربك مني أحب إلي من قربك من دينك وخدمتك للإسلام والمسلمين في شتى الأمصار بل يا ولدي إن غاية رضائي عليك لا يكون إلا بقدر ما تقدمه لدينك وللمسلمين، وإني يا ولدي لن أسألك غدا أمام الله عن بعدك عني، لأني أعلم أين وفيم أنت، ولكن يا أحمد سأسألك أمام الله وأحاسبك إن قصرت في خدمة دين الله وخدمة أتباعه من إخوانك المسلمين.

فمثل هذه المرأة المؤمنة هي التي تعلم وتعي وتدرك أنها عنصر أساسي وفعال في المجتمع، وأن عليها دوراً لابد وأن تقوم به في صناعة المجتمع المسلم المتكامل المثالي، وأنها ليست تابعة أو مهمشة، بل إنها قائد يوجه وينصح، علمت أن صلاح المجتمع بإمتثال أوامر الله واجتناب نواهيه والوقوف عند حدوده والبعد عن معاصيه، فربت ولدها على هدى الصحابة الكرام وسقته القرآن، وتعهدته بالقيام والصيام حتى صار قمة شامخة في سماء المجد والرفعة.

هذه التربية قد يستهين بها كثير من الناس، ويظنون أنها لا فائدة فيها ولا عائدة وأن المجتمع يمكن أن يقوم وينهض بغيرها، وهذا فهم خاطئ، فلابد وأن تعرف المرأة أهمية دورها في تنشئة جيل لابد وأن يتربى على ما ربى عليه الرسول ﷺ الصحابة الكرام.

فالمرأة هي أساس نهضة أي مجتمع، فهي التي تقيم النواة الأولى لقيام المجتمعات القوية المتماسكة، من خلال دورها في تربية وتنشئة الأبناء، وتوجيه ومساعدة الزوج في أعماله، لذلك فإن البيوت هي أهم مؤسسة تربوية، وعمود البيت هو المرأة، فإن كانت واعية لدورها صالحة، كانت قاعدة المجتمع صلبة وراسخة، وإن كانت سطحية منحرفة، فإن قاعدة المجتمع ستكون متهالكة ستنهار سريعاً وسينهار معها البناء، فالأم هي العماد في العملية التربوية، ولكي تتمكن المرأة من القيام بهذه المهمة العظيمة والخطيرة، فلابد من بناء المرأة المسلمة الواعية الصالحة الملتزمة بتعاليم دينها، والمحافظة على قيم مجتمعها والمطلعة على ثقافة عصرها، والمتفاعلة مع قضايا أمتها، حتى تخرج لنا جيلا من أمثال عمر بن عبد العزيز والشافعي وصلاح الدين الأيوبي، وتخرج لنا علماء في الطاقة والذرة وغير ذلك.

المبحث الثاني:

كيف تصنع امرأة

بداية وبصفة عامة إن المنهج التربوي الإسلامي منهج ينبثق من نصوص الكتاب والسنة، وعنايته موجهة بالدرجة الأولى إلى تزكية النفس وتهذيبها من نزغات الشر والإثم وتنمية فطرة الخير فيها.

وفي هذه السطور سنلفت الإنتباه إلى خطوات في صناعة المرأة لذاتها أولاً، ثم إلى وليها أو القائم على أمرها، خطوات عملية قائمة على المنهج التربوي الشرعي الصحيح لتصل بها المرأة أو يصل بها وليها بمن هي تحت ولايته إلى أعلى درجات السمو البشري حتى تنضم إلى ركب المؤمنات المفلحات ليبنين لنا مجتمعا صالحاً مستقيماً.

فقد ربط القرآن الكريم النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة بتزكية النفس بالإيمان والتقوى قال تعالى: (**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)**) (الشمس: ٧: ١٠).

فتربية النفس وتزكيتها هي عملية النهوض بالنفس إلى المستوى الرفيع من التكوين العقدي والسلوك الشرعي، والنفس البشرية عموماً قابلة للتوجيه والتعديل، والخير المركوز فيها قابل للتنمية بالتدريب والتعليم وتكرار المحاولات.

وهناك أسس عامة ينبغي مراعاتها عند الشروع في عملية صناعة المرأة لنفسها، أو يراعيها من يريد صناعة امرأة قادرة على بناء مجتمعاً، ومن هذه الأسس:

أولاً: أن تتوفر النية الصالحة بأن تكون غاية المرأة أو من يريد صناعة المرأة، في التغيير هي مرضاة الله، لأن الأعمال تتحدد قيمتها وتتحقق آثارها المباركة بحسب ما وقر في القلب من نيات قال رسول الله ﷺ **"إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى"**[٢٤].

ثانياً: مراعاة التدرج في عملية صناعة المرأة لأن التربية والبناء ليست عملية تحويل مفاجئ دفعة واحدة، فالرغبة في الإنجاز السريع مخالفة لسنن الله تعالى في كونه، إذ مع قدرته سبحانه على الإيجاد بقوله: **(كُنْ فَيَكُونُ)** إلا أنه تبارك وتعالى إختار لنفسه سنة الإنشاء المتدرج.

ثالثاً: إعطاء النفس فرصة للتعود وتصبيرها ومكابدتها قال تعالى: **(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)** (الكهف: ٢٨).

وقال ﷺ : "إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم"[٢٥].

رابعاً: أن تعلم وتعلمي أن صناعة النفس ليست معناها إلغاء طبائع النفس الفطرية وإنما إستغلال لهذه الطبائع لتحويلها وتوجيهها وتهذيبها، فالإسلام ما جاء لحجر الفطر، وإنما جاء ليقومها ويصحح مسارها.

خامساً: إيجاد الحافز الذاتي الذي يشكل القوة الداخلية عند الإنسان الموجهة لإرادته والدافعة له، والدافع الذاتي لدى المؤمن هو الإيمان بالله وبقضائه وقدره وبالتأمل في الجزاء الذي وعد به، فعندما تستقر هذه القاعدة الإيمانية في أعماق قلب الإنسان فإنها ستهيمن على فكره وقلبه وعواطفه وإرادته، فتربط إرادته بما يرضي الله، وتتحكم في أنواع

(٢٤) صحيح: البخاري (١) من حديث عمر بن الخطاب، ومسلم (١٩٠٧).
(٢٥) صحيح الجامع (٢٣٢٨).

سلوكه الداخلي والخارجي وفق ما أمر الله تعالى به رغبة ورهبة، قال تعالى: (**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى(٤١)**) (النازعات: ٤٠، ٤١).

وهذا من أهم روافد الصناعة الذاتية الذي يورثه الإيمان بالله تعالى، وهو الذي يشعل جذوة الخوف في القلب.

وتكوين هذه القاعدة يكون عن طريق العلم، والتعرف على ما أخبر الله به من أصول الإيمان، وأمور الغيب في كتابه وسنة نبيه.

سادساً: التركيز على عملية التحويل والتصعيد وتكون بتحويل رغبات النفس إلى جانب من جوانب الخير، وتوجيهها إلى معالي الأمور، كمن تجد في نفسها طمعا مفرطاً في متاع الحياة الدنيا وزينتها، فينشغل الصانع أو تشتغل المرأة بنفسها على ملء قلبها بالإيمان بالله واليوم الآخر وما فيه من جنة ونعيم وأجر عند الله عظيم، وتقارن بين المتاعين، متاع الدنيا والآخرة، فإذا تبين لها رجحان المتاع الثاني تبدأ في العمل على تحويل طمعها إلى ما عند الله، ثم تبدأ في عملية التصعيد أي تصعيد ما لديها من طمع إلى تحصيل ذلك المأمول الآخروي، وبذلك تنفك شيئاً فشيئاً عن التعلق بمطامع الحياة الدنيا لما هو أجل وأعلى وأدوم، فعندها تجد نفسها قنوعة راضية غير مفرطة في الطمع الدنيوي، وهذا الأصل مأخوذ من قوله تعالى: (**وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى**) (طه: ١٣١).

هذه بعض الأسس التي ينبغي مراعاتها عند الشروع في عملية صناعة المرأة، وبقي لنا أن ندخل في عملية صناعة المرأة، وذلك في ثلاثة مطالب:-

المطلب الأول: كيف تصنع المرأة نفسها بنفسها
المطلب الثاني: كيفية صناعة الزوجة
المطلب الثالث: كيفية صناعة البنت

المطلب الأول:

كيف تصنع المرأة نفسها بنفسها

هناك خطوات كثيرة لتحقيق تلك الغاية سأقتصر على ذكر الخطوط العريضة والكليات، وسأغفل الفروع والجزئيات تجنباً للإطالة فما قل وكفى خير مما كثر وألهى.

فلكي تصنع المرأة من نفسها امرأة قادرة على صنع مجتمعاً مثالياً عليها أن تتبع الآتي:

أولاً: أن تشد الرحال إلى تنقية قلبها وإصلاحه فلابد من تهذيب السلوك الداخلي أولاً ومراقبة أخلاق الباطن، فالإهتمام بأحوال القلب وإصلاحه من أهم مقومات بناء النفس كما قال النبي ﷺ "**ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**"[٢٦].

وعلى ذلك فلكي يظهر أثر عملية البناء أو الصناعة فلابد من تطهير هذه المضغة من كل ما يخالف تعليمات الوحي، إذ إن هذه التعليمات لا تقبل الذوبان بما يعارضها، ولا تستقر إلا في مكان طاهر يليق بقدسيتها.

---

(٢٦) صحيح: البخاري (٥٢)، مسلم (١٥٩٩).

ثانياً: الحرص على العلم والتعلم وفهم أمور الدين الواجبة فما من طريق من طرق البناء أو الصناعة إلا وهو متعلق تعلقاً وثيقاً بالعلم وإكتسابه والإنتفاع به، وكذلك فهم القرآن، والتواصل معه قراءة وتدبراً وعلماً وعملاً، فعلى مقدار التدبر والفهم لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ يكون التوفيق والنجاح في بناء النفس وصناعتها، فقد أفرد البخاري باباً كاملاً في صحيحه سماه "باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم؟" وجاء فيه أن نساء الأنصار قلن لرسول الله ﷺ : اجعل لنا يوماً من نفسك نتعلم فيه، فقد غلبنا عنك الرجال، فقال ﷺ : "موعدكن في دار فلانة" فأتاهن فيها فوعظهن وذكرهن وعلمهن، وهذا ما يؤكد ضرورة طلب العلم عند النساء.

ثالثاً: محاسبة النفس وإتهامها مع الإهتمام بآلية المحاسبة، بحيث تحاسب المرأة نفسها على كل خطأ تقوم به في الوقت نفسه وهذا يحتاج إلى يقظة دائمة؛ وإحذري من الوقوع في وهم الكمال الذي يجعلك لا تلتفتي إلى نواقص نفسك فتتراكم عليك العيوب وتحيدي عن الطريق.

فصناعة النفس موقوفة على محاسبتها، فلا تزكو ولا تطهر ولا تصلح إلا بمحاسبتها.

المطلب الثاني:

كيفية صناعة الزوجة

بمعنى كيف تصنع من زوجتك امرأة قادرة على صناعة مجتمعاً مثالياً قادراً على مسايرة العالم بعلومه وثقافاته، بتطوراته واختراعاته؟!

بداية وقبل كل شيء إن الرجل القوي، العاقل الذكي، يحب المرأة القوية ويتزوجها، يقدر وجودها في حياته، دائماً يفتخر بنجاحها وطموحها، وخير شاهد على ذلك قول المصطفى ﷺ "إن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"[٢٧].

يعلم أن الناجحة لن تقبل إلا بناجح، والمثقفة لن تقبل إلا بمثقف، والقوية لن تقبل إلا بقوي، يعلم أن تفوقها ما هو إلا إنعكاس لحسن اختياره لها كحبيبة وزوجة وأم.

أما الرجل الضعيف فيعجب بالمرأة القوية ولكنه يتزوج الضعيفة، لأنه يخاف المقارنة ويعلم أن قدراته محدودة لا تؤهله لزواج امرأة قوية.

أما الشواذ فيدعون حبهم للمرأة القوية تحت أقنعة زائفة، وبعد الزواج وسقوط الأقنعة يبدأون بممارساتهم الشاذة محاولين تغييرها حين يصطدمون بطموحها الذي يفضح فشلهم، وثقافتها التي تفضح ضحالة فكرهم، وثقتها التي تفضح نقصهم، وجمالها الذي يفضح قبحهم ففي جميع الأحوال الجميع يعجب بالقوية، ولكن القوية لا يعجبها الجميع فقط الرجال منهم.

---

(٢٧) صحيح البخاري (٣٧٧٠).

فإذا أردت أن تصنع من زوجتك امرأة قادرة على صناعة مجتمعاً فلابد وأن تعلم أن بداخل كل النساء صغرن أو كبرن طفلاً لا يراه أحد، يشتاق إلى من يهتم به، ويفهم ما يسعده ويحزنه.

فالمرأة الإهتمام يصنعها.

والإهمال يقتلها.

والأمان هو هدف الأهداف عندها

والحنان هو المطلب الدائم بقلبها.

وأن تنصت إليها بكليتك هو صميم رغبتها وطموحها.

وأن تشعرها أنك في حاجة إليها هو مغزى كلامها.

فعاملها كطفلة لا انتقاصاً من شأنها فهي الأم والزوجة والأخت والعمة والخالة وهي نصف المجتمع وتلد لنا النصف الآخر، ولكن تفهماً لخلقتها ولرغبتها، كن لها كرسول الله تكن لك كخديجة أو كعائشة، إبحث عن واجباتك قبل أن تقيم الدنيا على حقوقك.

فما ستفعله الآن بزوجتك ستجده غداً في بناتك ولو بعد حين.

واعلم ان ابتسامة قلب زوجتك لا يراها إلا الأب أو الزوج الذي يحمل فهم الأبوة.

فزوجتك طفلتك، وغالباً تنهار الحياة لو كنت لها طفلاً فكن رجلاً تكن لك طفلة، ولكن لو تحولت إلى طفل ستجد نفسها ومن غير أن تشعر تقوم بدور الرجل.

فمعاملة المرأة نفاسة معدن، ورجولة من الدرجة الأولى، فمن الصعب أن يحسن المعاملة لئيم أو صاحب معدن رخيص.

وأعلم أن بعض النساء تظن أن الحياة مسلسل تركي أو منفذ جديد لمزيد من التسوق أو امرأة قررت أن تكون بداية زواجها هي بداية قطع

رحمك بوالديك وأسرتك فهذه لا أعرفها، وسبل علاجها في مواضعه من كتب التربية.

وإن كان بعض الرجال يبحث عن هذا النمط من النساء وله ولها كل الحرية في ذلك، ولكن حديثي هنا عن نمط آخر، حديثي عن ملكة جمال البيوت.

من تعب ظهرها، وزاد وزنها، وشقت بطنها، وتركت راحتها من أجلك ومن أجل أولادك، ممرضة، وطباخة، وأخصائية اجتماعية ومعلمة ومربية وزوجة عفيفة طاهرة لم تعرف أحد قبلك ولا بعدك، لو أعطيتها مرتباً يناسب جهدها لأفلست وبعت ملبسك الذي تلبسه.

فالزواج هو من أقصر طرق الخيرية في هذه الأمة، قال رسول الله ﷺ "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي"[٢٨].

فاجعلها تحبك حتى تطيعك، وهناك بعض الأمور التي لو إتبعتها أحبتك زوجتك وأطاعتك، وتستطيع من خلالها أن تصنع منها امرأة قائدة رائدة قادرة على صناعة مجتمعاً، ومن هذه الأمور:

أولاً: تعود على إستخدام العبارات الإيجابية، كالدعوات الصالحة أو كلمات الثناء خاصة أمام أهلك أو أهلها.

قل لزوجتك مثلاً: لو عادت بي الأيام ما اخترت زوجة غيرك.

فإن مثل هذا الكلام يؤسر قلب زوجتك؛ فبمثل هذه الكلمات استطاع اللصوص إقتحام الحصون والقلاع الشريفة وسرقة محتوياتها الثمينة، فالكلمات الطيبة تنعش قلب المرأة، فقلها أنت قبل أن تسمعها من غيرك.

---

(٢٨) صحيح: الترمذي (٣٨٩٥)، أبو داود (٤٨٩٩)، الدارمي (٢٢٦٠).

ثانياً: التصرفات الصغيرة المعبرة: إن وجدتها نائمة فضع عليها الغطاء، اتصل بها من العمل لتسلم عليها فقط وأشعرها بذلك، أطعمها بيدك، قال رسول الله ﷺ "حتى اللقمة تجعلها في فئ امرأتك"[٢٩].

ثالثاً: تخصيص وقت للحوار بينك وبينها، الحوار عن الماضي وذكرياته الجميلة، تقرأ لها كتاباً في السيرة مثلاً تتدارسونه فيما بينكم، تحاورها في الحاضر وإيجابياته وسلبياته وكيف تستطيعا التغلب على مشكلاته، الحوار عن المستقبل، وعن وعوده وخططه وحظوظه الجيدة.

رابعاً: التقارب الجسدي: ليس فقط من خلال الحق الشرعي، بل الإعتياد على التقارب في المجالس وفي المسير، لا أن تمشي أمامها وهي تمشي خلفك بأمتار.

خامساً: تأمين المساعدة العاطفية عند الحاجة إليها، فقد تكون زوجتك حاملا أو فترة الحيض أو النفاس، وتحتاج إلى الوقوف معها معنوياً، وذلك بتقدير حالتها النفسية.

سادساً: التعبير المادي عن حبك لها من خلال الهدية سواء كان ذلك بمناسبة أو بغير مناسبة، والهدية ليست بقيمتها المادية بل بمناسبتها وملائمتها لذوق زوجتك.

سابعاً: إشاعة روح التسامح والتغافل عن السلبيات، كرر الصفح عنها وانسى أخطائها خاصة في الأمور الحياتية البسيطة التي ينبغي لكريم النفس ألا يتعاهدها بالسؤال.

ثامناً: التجديد وإذابة الجليد، فبإمكانك أن تقرأ كتاباً أو تسمع شريطاً تستطيع أن تجدد به حياتك الزوجية، ويضيف عليها من المعاني

---

(٢٩) صحيح: البخاري (٥٣٥٤)، مسلم (١٦٢٨).

والتنويع في الملبس والمأكل والمشرب وطرق المعاملة وغير ذلك مما يجعل الحياة تستمر ولا يتسرب إليها الملل أو السأم.

تاسعاً: حماية العلاقة بينك وبين زوجتك من المؤثرات السلبية مثل المقارنة بينها وبين غيرها، روي الخطيب البغدادي رحمه الله أن سعيد بن إسماعيل الواعظ رحمه الله سئل أي أعمالك أرجى عندك؟ فقال: إني لما ترعرعت وأنا بالري وكان يريدونني على التزويج فامتنع، فجائتني امرأة فقالت: يا أبا عثمان قد أحببتك حبا قد أذهب نومي وقراري، وانا اسألك بمقلب القلوب، وأتوسل به إليك إلا تزوجتني. فقلت ألك ولد؟ قالت نعم، فأحضرته فاستدعى بالشهود فتزوجتها، فلما خلوت بها فإذا هي عوراء عرجاء شوهاء مشوهة الخلق، فقلت: اللهم لك الحمد على ما قدرته لي، وكان أهل بيتي يلومونني على تزويجي بها؛ فكنت أزيدها براً وإكراماً وربما إحتبستني عندها ومنعتني من حضور بعض المجالس، وكأني كنت في بعض أوقاتي على أحر من الجمر، وكنت لا أبدي لها من ذلك شيئاً فمكثت على ذلك خمسة عشر سنة، فما شيء أرجى عندي من حفظي إليها ما كان في قلبها من جهتي.

- سبحان الله العظيم رغم ما بها صبر وتحمل ولم يدخلها في مقارنات مع غيرها.

عاشراً: تفقد أحوالها برفق ولين، تعاهدها في فعل الخير والحرص عليه فقد كان النبي ﷺ يربي زوجاته على العبادة ويحرضهن عليها ويتفقد أحوالهن فيها كان يوقظهن ﷺ بالليل "أيقظوا صواحبات الحجر، فرب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة"[٣٠].

(٣٠) صحيح: البخاري (١١٥).

كان بيته ﷺ شعلة من النشاط الدائم في طاعة الله ذكر بالنهار وقيام بالليل..**(وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ)**. (الأحزاب: ٣٤).

كان ﷺ يتابع زوجاته على العبادة سواء كانت بدنية أو مالية، كان يقول ﷺ لعائشة رضي الله عنها: "**يا عائشة لا تحصي فيحصي الله عليك**"[٣١].

كان ﷺ يراعي فلتات اللسان عند زوجاته حتى مع الأعداء والحديث رواه البخاري من حديث عائشة أن اليهود دخلوا على النبي ﷺ فقالوا: السام عليك، فلعنتهم، فقال ﷺ مالك؟ قالت: أولم تسمع ما قالوا ؟ قال: "**فلم تسمعي ما قلت؟ وعليكم**[٣٢]" والسام يعني الموت.

فينبغي على من يريد أن يصنع من زوجته امرأة قادرة على صنع مجتمعاً أن يغرس فيها حب الخير للأمة يحملها هم الدين والدعوة يعرفها أن المجتمع يصلح بصلاحها ويفسد بفسادها، يعلمها أمور عقيدتها ودينها، ينبغي أن يقاوم ما يحصل لديها من منكرات، وينمي ما عندها من خيرات؛ والموفق من وفقه رب الأرض والسماوات.

(٣١) صحيح: البخاري (٢٥٩٠)، مسلم (٢٣٧٢).
(٣٢) صحيح: البخاري (٢٩٣٥).

المطلب الثالث:

كيفية صناعة البنت

كيف تصنع من إبنتك قاعدة من قواعد المجتمع ؟ قد لا يدرك بعض الآباء قدر المهمة العظيمة التي يقومون بها عند تربية بناتهم، وقدر الرسالة السامية التي يحفظون بها القيم والأخلاق في المجتمع إن أحسنوا تلك التربية فضلاً عن الأجر والثواب المرجوين من جراء ذلك وقد مر بنا حديث رسول الله ﷺ أنه قال: "من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين وضم أصابعه"(٣٣).

ولعظيم هذا الأجر تستحق تربية البنات أن يوليها الآباء عناية كبيرة، خاصة إذ تيقن بالعاقبة السيئة على الفرد والمجتمع إن أهمل في تلك التربية.

ولكن بعض الناس قد يستسهل أمر التربية عموماً للبنين والبنات على حد سواء، ويقلل من شأنها، بل ويعتبر أن تربية البنات يسيرة ولا تستحق أن يجهد لها، فيعتقد أنه لا بديل في معاملة البنات عن الشدة والحزم والضغط الذي يصل أحياناً إلى الضرب والحرمان وكافة أنواع الإيذاء البدني والنفسي.

وذلك من خلال توارث الناس لتلك المفاهيم في تراثهم الشعبي.

ففي تربية البنات شرف كبير للمسلم لأنه حينذاك يتأسى بالرسول ﷺ إذ كان أبا لأربع بنات فرباهن وأدبهن وأحسن تربيتهن حتى أثمرت هذه

(٣٣) صحيح: وقد تقدم

التربية بنتا مثل السيدة فاطمة رضي الله عنها التي روى البخاري أن النبي ﷺ قال لها قُبيل وفاته
"أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة"[٣٤].

فالبنات مخلوقات رقيقات ضعيفات لا يصلح معهن شدة ولا غلظة، فهي التي تنشأ في الحلية والزينة ولا تمتلك القدرة على المجادلة ولا الخصومة قال تعالى: **(أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ)** (الزخرف: ١٨).

ولذلك تحتاج تربيتهن إلى وسائل أخرى تتناسب مع رقتهن وتكوينهن الفطري الذي خلقهن الله به.

قد يظن بعض الآباء أن دورهم التربوي للبنات ينحصر في توفير الملبس والمأكل والمال وفي وضع المحاذير ومعاقبة البنت إن خالفت أو وقعت في محظور، ويلقى بتبعة التربية على عاتق الأم وحدها ويظن أنه قد أدى كل ما عليه، وأنا لا أنكر قيمة دور الأم التربوي في حياة أبنائها وبناتها ولكني أتحدث عن مرحلة تحتاج فيها البنت إلى أبيها ليقوم بدوره التربوي الذي لا تستطيع الأم مهما فعلت أن تقوم به، فتربية البنات وصناعتهن عملية مشتركة بين الأب والأم لا يغني أحدهما عن الآخر، فإن تقاعس أحدهما عن أداء دوره أو كان غير متفهم له أو غير مقدر لخطورته سيكون هو معول الهدم الأول في حياة إبنته ومن ثم مجتمعه وسيحدث أزمة لا عاصم بعد الله من آثارها المدمرة.

فالبنات ضعيفات وعاطفيات يبحثن دائماً عن الأمان، وأول من تنشد البنت عنده الأمان هو الأب، وأول مكان تأوى إليه البنت عند شعورها

(٣٤) صحيح: البخاري، الجامع الصحيح (٦٢٨٥).

بالخوف في أي مرحلة من مراحل حياتها هو بيت أبيها، ولهذا فلابد للأب أن يوفر الأمان النفسي قبل الأمان المادي لإبنته، وعندما يقصر في ذلك وتشعر البنت أنها قد إفتقدت الأمان عند أبيها وفي بيته ستطلب الأمان خارجه وقد تتلقفها الأيدي الكاذبة الخادعة الماكرة ذات المنطق المعسول وما أكثرها في هذا الزمان الذي راجت فيه المنكرات وطغت فيه الماديات والإستمتاع بكثير من الشهوات بسبب بعدنا عن منهج رب الأرض والسماوات، وحينها لا يلومن الأب إلا نفسه بعد فوات الأوان لأنه هو الذي دفع إبنته للإنحراف بسبب سلوكه.

فإذا أردت أن تصنع من إبنتك امرأة قادرة فيما بعد على صناعة مجتمعاً فلابد وأن تراعي أولاً عدة نقاط هامة:

أولاً: لا للمقارنة: فإن تفضيل الولد عن البنت داخل الأسرة الواحدة يعد أمراً خاطئاً؛ لأن الولد والبنت كلاهما يحتاج للحب والرعاية والإهتمام، ولا يجب تدليل أحدهما على الآخر حتى لا تشعر الفتاة بالنقص، وعدم تقدير الذات وتتنامى لديها عقدة الأنوثة التي ترسم في وجدانها أن الذكور أفضل من الإناث.

ثانياً: حرية محدودة: فقد يمنح الوالدان الفتاة حرية زائدة عن الحد بإعتبار أنهما لا يضعان أي فروق بينها وبين الذكور فتتلقى نفس التربية، وتسير على نفس القوانين مما يجعل طريقة تصرفاتها يطبعها نوع من الخشونة والذكورية وقد تدفعها هذه الجرأة إلى إستغلال مساحة الحرية التي منحت لها بشكل خاطئ.

ثالثاً: القدوة: الوالدان أو أحدهما: هو أفضل من يصور القدوة أمام أعين البنت بإعتبارهما أقرب شخصين ناضجين لها، لذا يجب على

الوالدين أن يحرصا على الظهور بشكل لائق أمام الأبناء حتى لا تبتعد الفتاة وتبحث عن قدوة خارج الأسرة.

رابعاً: التواصل المستمر: ينبغي أن يكون بين البنت والأم جسر مفتوح للتواصل الدائم بكل صراحة ووضوح خلال كل مرحلة من مراحل حياتها حتى يكون هناك تقارب بينهما من أجل التحدث في كل المواضيع وبدون خطوط حمراء، خاصة وأن الفتاة عندما تصل إلى سن معينة تحتاج إلى معرفة كل شيء عن أمور الحياة.

خامساً: تنمية الأنثى: تشعر البنت منذ نعومة أظافرها بأنها أنثى فتجدها تفضل لعبة الدمي الشبيهة بالمواليد الصغار، والإعتناء بها وإعداد الطعام، وتلك الغريزة يجب تنميتها وتوفير سبل تطورها بما يناسب عمرها، مثل: توفير ألعاب المطبخ، والإعتناء بالمولود، ومع تقدمها بالعمر يتم إسناد مهام تقوم بها الأم لها، مثل: المساعدة في إعداد وجبة، أو طلب مساعدتها في الإعتناء بأخواتها الصغار، أو الطلب منها تسريح شعر أختها وهكذا.

هذه بعض النقاط التي ينبغي مراعاتها عند الشروع في عملية البناء أو الصناعة.

فالبنت في كل مرحلة من مراحل حياتها تحتاج إلى معاملة خاصة حتى تؤتي عملية الصناعة أو البناء أو التربية ثمارها.

ففي مرحلة الطفولة عندها ينبغي على الوالدين أن يحرصا **أولاً:** على قراءة القرآن على مسمع البنت كل يوم، وذلك من أول يوم ولدت فيه، فعلى الرغم من كونها لا تزال لا تفهم ولا تستوعب ما يقرأ، ولكنها ستتعود على حب القرآن وعلى حب سماعه.

ثانياً: إصطحابها إلى تلك المراكز التعليمية منذ طفولتها، وتعويدها على أن تلبس الملابس المحتشمة ولو لبعض الوقت في البداية كي يترسخ بداخلها أن هناك لباساً خاصاً ببنات المسلمين.

ثالثاً: قيام الوالدان بالصلاة أمام الطفلة وجعلها تقوم بتطبيق نفس الحركات الخاصة بالصلاة، والتحدث معها عن أهمية الصلاة وفضلها العظيم عند الله وعند رسوله...

رابعاً: القيام بتربية البنت على الأخلاق الحميدة والتأكيد عليها مثل الصدق والأمانة وعدم الكذب والغش وترسيخ تلك السلوكيات فيها.

خامساً: إذا بلغت البنت ست سنوات لا تخرج من المنزل لوحدها أبداً خاصة في فترات الظهيرة والمساء، وإفهامها ألا يحاول أحد أن يتحسسها، وإذا خلعت ملابسها فيجب أن تخلعها بعدما تتأكد أن باب الغرفة مغلق، ولا تخلع ملابسها أبداً خارج المنزل مهما كانت الأسباب، ولا تخرج أبداً مع السائق لوحدها، ولا تلعب مع أبناء الجيران أو الأقارب الأكبر منها الذكور أبداً، وتعويدها على إرتداء بنطلون برمودا أو جوارب كلون في حالة ارتدائها فستاناً، وتعليمها طريقة الجلوس السليمة بحيث لا تجلس ورجلها مفتوحة، وتحذيرها من الدخول إلى غرفة العامل أو البواب، وتدريبها على تغيير محطات التلفزيون إذا ظهرت لقطات غير مناسبة كما ينبغي الفصل بينها وبين إخوتها الذكور في النوم بحيث تكون في سرير منفصل، ويفضل أن تكون في غرفة منفصلة.

سادساً: إذا بلغت البنت عشر سنوات تشرح لها والدتها معنى البلوغ والتغيرات التي ستطرأ على جسدها قبل حدوثها وتتحدث معها والدتها حول معنى الإعتداء الجنسي وتورد لها قصص في هذا الموضوع، وتشرح لها والدتها طريقة تكوين الجنين، وتبين لها أن الطريق الوحيد المقبول

له هو الزواج فقط، وتعويدها على الحياء وحثها على الإنسحاب من مجالس النساء عندما يتطرق الحديث لموضوع لا يليق أن يستمع له الصغار، وتبدأ الأم على التأكيد على الإمتناع عن لبس القصير والعاري في المنزل وبالأخص أمام إخوتها الذكور ووالدها، وتوضح لها أهمية إبتعادها عن الفتيات غير المحتشمة أو من يقمن بتصرفات منحرفة كالتحدث مع الشباب ومصادقتهم.

سابعاً: في فترة المراهقة: تحدث تغيرات جسمانية ونفسية معلومة للكثير في حياة البنت المراهقة، فبعض الآباء يهتم في تلك المرحلة عند البنت بالبحث عن وسيلة لتعليم إبنته الأحكام الفقهية وربما يلقي بالمهمة على الأم لتعلم إبنتها سراً ما يُستحيا من ذكره على العلن، والأحكام – على أهميتها الكبيرة – ليست كل ما يجب الإهتمام به، فالمراهق عموماً يشعر بنوع من الإنجذاب الإنفعالي للجنس الآخر، ويرغب في تواجد الآخر إلى جانبه بشكل دائم والتحدث والإستماع إليه، والبنت المراهقة ترى أول رجل تقع عليه عيناها هو أبوها الذي يختزل في نظرها كل الرجال وعليه تبني مقياسها للحكم على الرجال في باقي حياتها، فإن كان أباً متفهماً لدوره التربوي مقدرا لمشاعرها ازداد إعجابها به وصار مثلا لها ومعياراً لتقييم الرجال، وحين تتمنى زوجاً لها تتمناه يشبه أباها في صفاته وسلوكه ولهذا قيل "كل فتاة بأبيها معجبة".

وفي المقابل فالأب القاسي أو المتسلط أو المشغول الذي لا يعلم عن أهله شيئاً يفقد القدرة على التأثير في إبنته المراهقة وربما تبحث في الفراغ الذي خلفه عمن يملؤه بدلا منه وحينها يكمن الشر والضرر.

فالبنت المراهقة بوجه عام تحتاج إلى الشعور بأنوثتها من الطرف الآخر، والشعور بالإهتمام منه، والشعور أيضاً بجمالها وتحتاج لسماع كلمات

الرفق والتقدير وتحتاج للمسة الحانية وتعتبر البنت أباها كرجل من ذلك الطرف، فإن إستطاع الأب أن يقدم لإبنته ذلك الشعور بعطفه وحنانه الأبوي أقام عندها خطا للدفاع قوياً لا يجعلها هشة إن سمعت كلاماً معسولاً أو لُوح لها بلمسة حانية أو نظرة إعجاب، وقد يتعجب البعض من هذا الطرح وقد يصفني بأوصاف شنيعة، ولكني قد وجدت في سيرة النبي ﷺ في تعامله مع بناته ما يؤكد ذلك، فقد كان ﷺ يعظم شأن بناته ويشعرهن بوافر حبه ورحمته بهن، فتوضح ذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فتقول: "ما رأيت أحداً كان أشبه سمتاً وهدياً ودلاً برسول الله من فاطمة، كانت إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها وقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبلته وأجلسته في مجلسها"[٣٥].

فرسول الله ﷺ كأب كان يهش لإبنته ويقربها إليه ويقوم لها ويجلسها في مجلسه وهي تبادله رفقاً برفق ورحمة برحمة في قمة سامية في الخلق الرفيع والتربية الكاملة (**وهَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ**) (الرحمن:٦٠).

إن مثل هذا التصرف من الأب يؤمن إبنته ضد الخطر الداهم من كل شيطان يلتف حولها أو يحاول إغوائها بنظرة مغرضة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، أو كلمة براقة تخطف الأبصار أو إهتمام زائف يلغي العقول ويذهب بالثوابت.

إن مسؤليتكم – أيها الآباء – عظيمة نحو بناتكم، فهن أمانة بين أيديكم؛ فكم من صالحة أنشأت جيلاً عظيماً كانت نتاج تربية صالحة

(٣٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٥١٩/١).

من أبيها وأمها، وكم من منحرفة أفسدت أمة بأسرها كانت نتاجاً لأب ظن أنه بالمال والطعام والشراب قد أدى كل ما عليه نحو بناته.

فمرحلة المراهقة في عمر البنت من أصعب وأخطر تلك المراحل العمرية وأهمها، فيجب على الوالدين الإعتناء ببنتهم بشكل أكبر من مرحلة الطفولة، وذلك بسبب ذلك التغير البيولوجي الحادث في جسدها علاوة على حبها الفطري والغريزي للقيام بتقليد الفتيات الأخريات سواء في لباسهن أو ألفاظهن، وهناك عددا من القواعد التي ينبغي إتباعها من جانب الوالدين مع بنتيهما في تلك المرحلة العمرية الهامة والخطيرة ومنها:

أولاً: التأكيد من جانب الوالدين على إلتزامها باللباس الشرعي، بل والتأكيد على فائدته لها، وأن الله عز وجل أراد لها الحماية والتكريم بهذا اللباس وجعلها مميزة بين جميع الفتيات به.

ثانياً: القيام بالتحدث معها بل وحثها الدائم على الإلتزام بالفرائض كالصلاة، وبالأخلاق الحميدة والتي ترفع من شأنها كإلتزامها بوتيرة الصوت المنخفض، والإبتعاد عن الإختلاط بالجنس الآخر.

ثالثاً: الحديث معها عما حدث معها في خارج المنزل من مواقف أو أحداث، فإن رأى الوالدان أن هناك شيئاً خطأ قد قامت به أو تصرفت تصرفاً غير سليم وجب عليهما نصيحتها بحكمة، أما إن كان ما حدث معها خلال يومها هو شيئاً جيداً فينبغي عليهما القيام بتكريمها بأياً من أشكال التكريم يقدما هدية مثلا كنوعاً من أنواع التحفيز لها على ذلك السلوك الجيد والسليم من جانبها.

رابعاً: إبعاد البنت عن أياً من رفقاء السوء وبشكل فوري حتى لا تتأثر بهن ويكون لهن الخطورة في حياتها.

فإذا طبقا الوالدان ما ذكرت ووفقهما الله نشأت البنت نشأة صالحة ولحقت بركب المؤمنات وأخرجت لنا مجتمعاً صالحاً مستقيماً، وأولاً وأخيراً أمر القلوب بيد الله، والموفق من وفقه الله فإن أزمة الأمور بيده سبحانه والله المستعان.